الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابين بالنصب وبها قرا
ابن كثير وقرا عبد الله يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتوحيد وارسلنا اليهم
رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع
محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل
بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول
الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا
كذبوا كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول
كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وقرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع
على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف
دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين
مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب
بنو اسرائيل انهم لا تصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والاخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا
العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات
وهو الرؤية وقرئ وعموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته
اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث
او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم لم يعرف عيسى صلوات الله عليه بجنبه ومنهم في انه عبد مربوب كمثلهم
وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم
الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين
من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم
ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون
ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الاخرة من عذاب الله من في قوله وما من اله الا اله
واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله
موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي
في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر مقام
المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير
الذين كفروا بانهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم
من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي عدادها
ثيابا ولها عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية
افلا يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من
اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا
رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرا الله الاكمه والابرص واحيى الموتى على يده
فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر

ولانه

ولانه وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما
الا منزلة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر
الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما
في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما كسائر
من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف
مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون
كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين
يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم
بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان
والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا
دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء
لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي
يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع
ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا
لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما
يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع
الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عن سواء السبيل حين كذبوه
وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما
اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى
اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لا يعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا
خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي
كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء اخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم
فيا حسرتا على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون
من كتاب الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء
قلت من قبل ان الله تعالى امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان
تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون
عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق والاته
تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله
يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين
ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم والمعنى
ان موالاة المشركين كفرهم دليل على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)